الدرس السادس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ الأمانة في البيع والشراء والكيل والوزن

وقول الله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

٢٢٥ – عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ؛ حدثنا ((أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلِموا من القرآن وعلِموا من السنة)). ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ((ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتُقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل ، كجمرٍ دحرجْتَه على رجلك

فنَفِطَ فتراه مُنتبرًا وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله. فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، وحتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ليردنّه علي دينُه، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنّه علي ساعيه. وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا)) .

الجذر: الأصل . والوكت: الأثر اليسير . والمجْل: نَفْط يسير من أثر عمل. ومنتبرًا: مرتفعًا. ساعيه: الوالي عليه.

****

قال المصنف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: «**بابٌ الأمانة في البيع والشراء والكيل والوزن**» ؛ والمراد بالأمانة في هذه الأشياء : أي البُعد عن الخيانة، وأن يفي الإنسان بما عليه إن كان كيلاً أو كان وزنًا أو كان تبايعًا، ولا يخون من يتعامل معه لا في قليل ولا كثير، فالأمانة ضد الخيانة، وهي من الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((لا إيمان لمن لا أمانة له)) ، فالأمانة من الإيمان، والخيانة من النفاق، فإن من صفات أهل النفاق الخيانة، ((وإذا اؤتمن خان)) ، وكون الخيانة ضرب من ضروب النفاق: من جهة أن الخائن يُظهر ما لا يبطن، يُظهر وفاءً ويبطن خيانةً، فكانت الخيانة نوع من أنواع النفاق بكون الخائن يُظهر أمانة وهو يبطن خيانة، فهي من النفاق العملي، والأمانة شعبة من شعب الإيمان وخصلة من خصاله العظيمة.

والأمانة تطلق ويراد بها الدين كله كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢- ٧٣] ؛ وهذه أقسام الناس مع الأمانة التي هي الدين :

- فمنهم من أتى بها ظاهرًا وأبطن ضدها ؛ وهم أهل النفاق.
- ومنهم من تركها في الظاهر والباطن؛ وهم أهل الإشراك.
- ومنهم من أتى بها ظاهرًا وباطنًا؛ وهم أهل الإيمان.

فهذه أقسامهم الثلاثة. فالأمانة تطلق ويراد بها الدين كله، وتطلق ويراد بها الأمانة في التعامل من بيعٍ أو شراء أو نحوه، وهو الذي يتحدث عنه رحمه الله تعالى في هذه الترجمة بقوله: «الأمانة في البيع والشراء والكيل والوزن».

وبدأ بقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] فهذا من هذا القبيل ، يعني في تعامل الناس في بيعهم في شرائهم في تعاطيهم وأخذهم ونحو ذلك؛ إذا اؤتمن الإنسان على شيء من الودائع أو نحو ذلك فعليه أن

يؤدي الشيء الذي اؤتمن عليه وافيًا ؛ فإن أداءه شعبةٌ من شعب الإيمان -كما تقدم- وخصلة من خصاله العظام.

ثم أورد رحمه الله تعالى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «**حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثين**» أي أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبرهم بأمرين من الأمور التي تقع في المستقبل مما أعلمه الله سبحانه وتعالى وأطلعه عليه ، وهذا علَم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، يخبِر بأمور تكون في المستقبل فتقع طبقًا لما أخبر ووفقًا لما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه.

قال: «**بحديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر؛ حدَّثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن**» المراد هنا بالأمانة: الإيمان، والمراد بنزولها في جذر قلوب الرجال: أي في أصل القلب وأصول القلوب ، قال «**نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال**» أي أول ما يكون دخول الإيمان وتمكنه من القلوب ثم نزل القرآن.

«**فعلِموا من القرآن، وعلِموا من السنة**» وهذا فيه تنبيه إلى أمر عظيم ربما غُفل عنه في التعليم: أن أول ما يُعتنى به في النشء تعليمًا هو غرس الإيمان في القلوب، والحرص على تمتينه في النفوس، وتقوية العقيدة والصلة بالله تبارك وتعالى، يُربّى على ذلك، ولهذا جاء في سنن ابن ماجه عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة -أولاد صغار- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا» ، سبحان الله! إذا تعلم المرء الإيمان قبل القرآن ينتفع بالقرآن ويرتفع ، لأنه كلما قرأ من القرآن ازداد بما يقرؤه إيمانًا، وأما إذا لم يتعلم الإيمان قبل القرآن ربما يقرأ القرآن ويقوم منه بنقصان وليس بزيادة، كما قال بعض السلف: «ما جلس أحد لهذا القرآن إلا قام منه إما بزيادة أو بنقصان» ، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة:١٢٤] يعني ليس كل أحد تزيده التلاوة إيمانًا ، ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤- ١٢٥] .

ولهذا من الناس من عنده الإيمان وليس عنده حظ من القرآن حفظًا وقراءة، وإيمانه هذا ينفعه عند الله، ومن الناس من عنده القرآن ولكن ليس عنده الإيمان؛ فلا ينفعه القرآن عند الله سبحانه وتعالى، وهذا واضح في الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر مثل الأمة مع الإيمان والقرآن، فذكر مثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، وذكر المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة رائحتها جميلة لكنها مُرة الطعم ، فهذا يفيد أن من الناس من عنده قرآن بلا إيمان، وهذا لا ينفعه عند الله، ومن الناس من عنده إيمان وليس عنده قرآن، ليس عنده حظ ونصيب من القرآن لكن إيمانه ينفعه عند الله سبحانه وتعالى. وكانت جادة السلف وطريقتهم البدء أولًا بتعلم الإيمان والحرص على تقويته، انظر قصة الأعراب الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله خبرهم في القرآن:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] أي يتمكن الإيمان في قلوبكم ويكون راسخًا.

فالأصل في ذلك: هو زرع الإيمان وغرسه في القلوب، وهذا مما يستفاد من هذا الحديث، قال: ((**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال**)) أي نزلت في أصل القلب . وهذا هو الأساس الذي يُبنى عليه دين الله، لأن دين الله مثله مثل الشجرة لها أصل، أصلها هو هذا «نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال» هذا هو الأصل الذي يقوم عليه الدين كله، فكلما قوي الأصل عظم الفرع وعظمت فائدته، والله يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥].

قال: «**ثم نزل القرآن، فعلِموا من القرآن، وعلِموا من السنة**» أي يتعلمون من القرآن ويتعلمون من السنّة ما يزدادون به إيمانًا مع إيمانهم.

«**ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه**» وهذا فيه أن الأمانة محلها القلب، ومنبعها القلب.

«**فتُقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت**» والوكت: هو الأثر اليسير، أي تُقبض من قلبه لكن يبقى لها أثر يسير.

((**ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل**)) وهو نفط يسير من أثر عمل . أحيانًا إذا عمل الإنسان بيده أعمالاً شاقة، كأن يحمل فأسًا ويضرب به كثيرًا يجد أن في يده بثور وأورام خفيفة، يعني انتفاخات أو تورمات وبداخلها هواء أو يكون بداخلها ماء، فتكون انتفاخات بثور في يده من آثار عمل.

((**فيظل أثرها مثل المجل كجمرٍ دحرجتَه على رجلك فنَفَطَ ، فتراه مُنتبرًا وليس فيه شيء**)) يعني لو أن إنسانًا أخذ جمرة، والجمرة معروفة حارة ملتهبة، ودحرجها على رجله، ما الذي سيكون؟ المواضع التي لمست الجمرة فيها الرجل، لأنها الدحرجة تتحرك الجمرة في مواضع متفاوتة تصيب القدم، فيكون في مواضعها بثور من أثر لمس الجمر لبدنه.

قال: ((**ثم أخذ حصاة عليه الصلاة والسلام فدحرجها على رجله**)) للتوضيح.

قال: ((**فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة**)) وهذا الآن انتقل الحديث من الأمانة بمعناها الشامل للدين كله إلى الأمانة في البيع والشراء، وهو باب من أبواب الأمانة ونوع من أنواعها .

قال: ((**فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يودي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أمينًا**)) يعني يصبح نادرًا وجود الأمين. «إن في بني فلان رجلاً أمينًا» بمعنى أن الرجل الأمين شخص نادر، بحيث إنه يشار إليه بالبنان، في بيت فلان يوجد رجل أمين.

((**وحتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**)) أي مظهر بلا مخبر، المظهر يقول عنه الناس: ما أجلده ما أظرفه ما أعقله! لكن المخبَر: خرابٌ تباب، ما فيه مثقال حبة خردل من إيمان.

((**ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت**)) يعني من المسلمين ، من اليهود ، من النصارى، ما أبالي.

((**لئن كان مسلمًا ليردنّه عليَّ دينُه**)) إذا كان مسلم ووقع في شيء من الخطأ في تعامله معي فدينه يردُّه، دينه يحجزه. لكن إذا ارتفع الإيمان ما بقي في القلب مثقال ذرة من إيمان فالشأن يكون مختلفًا. والمراد بقوله «بايعتُ» أي تعاملت بيعًا وشراءً، ليس المراد المبايعة على إمرة أو على خلافة، وإنما المراد بالمبايعة هنا: البيع والشراء. ((وما أبالي أيكم بايعت)) أي بعت معه واشتريت ((لئن كان مسلمًا ليردنّه علي دينُه)).

((**وإن كان نصرانيا أو يهوديا**)) أي تعاملت معه في البيع والشراء ((**ليردنّه علي ساعيه**)) أي واليه، لو كان منه خطأ أو نحو ذلك، واليه القائم على أمره ليردن عليّ أي حقي الذي خانني مثلاً فيه.

((**وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا**)) .

قال رحمه الله تعالى :

٢٢٦ – ولمسلم في حديث الشفاعة: ((وترسل الأمانة والرحم فيقومان بجنبتي الصراط يمينًا وشمالاً)).

****

قال: ولمسلم في حديث الشفاعة: ((**وترسل الأمانة والرحم فيقومان بجنبتي الصراط يمينًا وشمالاً**)) ؛ معنى قيام الأمانة والرحم على جنبتي الصراط، والصراط هو المعبر إلى الجنّة، ولهذا في تتمة الحديث: ((فيمر الناس على قدر أعمالهم، منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر مشيًا، ومنهم من يمر زحفًا)) ، والأمانة تُرسل أي تُجعل وتأتي على جنبتي الصراط ، ومعنى ذلك أنه -كما بيَّن أهل العلم- لا يجوز الصراط ولا يعبره خائن ولا قاطع، هذا معنى قيام الأمانة على جنبتي الصراط؛ ترسل الأمانة والرحم فلا يجوز خائن: أي لا يعبر، ولا قاطع: أي قاطع رحم. ويختلف مرور الناس على الصراط بحسب حالهم من الإيمان وحظهم منه ، ولهذا يتفاوتون في ذلك تفاوتًا عظيمًا.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ قوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية [التحريم: ٦].

****

قال: «**بابٌ قوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» ؛ الراع: المراد به الحافظ المؤتمن، من وُكل له القيام بشؤون وبأمور قلَّت أو كثرت يسمى «راع»؛ وهو الحافظ المؤتمن. والرعية: من كانوا تحت نظره، من كُلِّف برعايتهم ، بالقيام بشؤونهم. وقوله «مسؤول»: أي يسأل الله سبحانه وتعالى عن هذه الرعية، كما سيأتي في الحديث الذي ساقه المصنف.

قال: **وقول الله تعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ ؛ ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي باعدوا أنفسكم عن النار وعما يسخط الله سبحانه وتعالى ، ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وهذا موضع الشاهد للترجمة، أن من ولَّاه الله سبحانه وتعالى رعية فإنه مسؤول عنهم وعن نفسه، مطالبٌ برعايتهم بوقايتهم بتجنيبهم الأمور التي تُسخط الله سبحانه وتعالى، لأنه مؤتمن على ذلك وحافظ لذلك، وهذا معنى كونه راعيًا.

قال رحمه الله تعالى :

٢٢٧ – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "كلُّكم راع وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته. فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها، والولد راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" متفق عليه.

****

قال: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كلُّكم راع، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**)) ؛ قوله «كلكم راع»: أي كلكم حافظ مؤتمن، ما من إنسان إلا وعنده حظ ونصيب من الرعاية لبعض الأمور قلَّ أو كثر، ولو لم يكن إلا رعاية الإنسان لأهله وولده ، فهو راعٍ ومسؤول يوم القيامة عن هؤلاء، تقدم معنا قوله: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ .

((**وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**)) أي يسأله الله، سيقف بين يدي الله ويسأله عما استرعاه. والمراد بالرعية : من شملهم حفظ الراعي الذي وُكل بهم وتولى رعايتهم. ثم فصّل ذلك، وأن الرعاية تبدأ من الإمامة الكبرى وما دونها من الولايات، انتهاءً بالأب في بيته، والمرأة في بيت زوجها، والخادم في مال الرجل .

قال: ((**فالإمام راع ومسئول عن رعيته**)) وهذه الإمامة الكبرى، ((فالإمام راع ومسئول عن رعيته)) أي مسؤول عن أفراد الرعية، إذا وقف بين يدي الله سبحانه وتعالى سأله عن نفسه وعن رعيته.

((**والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته**)) يُسأل يوم القيامة عن زوجه عن ولده عن أهله عن قيامه بالواجب الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى عليه تجاه هؤلاء.

((**والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها**)) وهذا فيه أن المرأة تحملت مسؤولية عظيمة يسألها الله سبحانه وتعالى عنها يوم القيامة إذا وقفت بين يدي الله. ومسؤوليتها تتلخص في أمرين: البيت والأولاد ؛ حفظ البيت، تحفظ زوجها في نفسها في بيته في ماله، تصون بيته، ترعى البيت ، تقوم بشؤون البيت، وأيضًا تعتني بالأولاد وحاجاتهم وأمورهم وتنشئتهم وتأديبهم، فهي مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى عن هذا الواجب العظيم والمسؤولية الجسيمة. ((والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها)) أي إذا وقفت بين يدي الله سُئلت عن البيت وسئلت عن الولد، وماذا قامت تجاه هذه المسؤولية وهذا الأمر الذي اؤتمنت عليه؟ .

قال: ((**والولد راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته**)) يعني مسؤول عن مال أبيه، إذا ولاه والده أمور البيت والصرف على البيت والنفقة، هذا المال مسؤول عنه أمام الله تبارك وتعالى، فهذا شيء أصبح راعيًا فيه، أي حافظًا مؤتمنًا، والله سبحانه وتعالى يسأله عن ذلك يوم القيامة.

((**والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته**)) .

حاصل ذلك أن الرعاية كلٌّ له نصيب منها، كما يفيده العموم في أول الحديث وفي آخر الحديث؛ ((فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) ، لا يظن الظان أن الراعي هو الأمير أو الرئيس أو الخليفة أو الوالي، ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته)) ، كلٌّ له حظ ونصيب من الرعاية. وبدأ الحديث بالتعميم ((كلكم راع)) ، وختم الحديث أيضًا بالتعميم ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) تأكيد على هذا المقام العظيم، وأن الجميع حافظٌ مؤتمن، مسؤول يوم القيامة عما استرعاه الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ الرفق بالمملوك

٢٢٨ – عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه ضرب عبدًا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اعلمْ أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام)) قلت: هو حرٌّ لوجه الله تعالى. فقال: ((أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار – أو لمستك النار)) .

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ الرفق بالمملوك**» والمراد بالمملوك: ما تحت الإنسان من عبيد وإماء، فإن الواجب أن يرفق بهم، لا يستغل كون له سلطة وله ولاية عليهم أن يبطش بهم ضربًا وإهانة وقسوة وشدة ، بل الواجب عليه أن يرفق بهم، أن يتعامل معهم بالرفق والمعاملة الكريمة الطيبة.

قال: **عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه ضرب عبدًا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اعلمْ أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام))** ؛ كان بيده سوط رضي الله عنه، وكان يضرب هذا الغلام، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((أبا مسعود)) فعلِم أن الذي جاء هو النبي صلى الله عليه وسلم. جاء في بعض الروايات في صحيح مسلم قال: «فسقط من يدي السوط من هيبته» ناداه النبي صلى الله عليه وسلم ((أبا مسعود)) ، فسقط السوط من يده؛ من هيبة النبي عليه الصلاة والسلام .

فقال عليه الصلاة والسلام: **((اعلمْ أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام))**؛ أي إذا كنت ترى في نفسك قوة وقدرة على هذا البطش به والضرب له، فاعلم أن الله أقدر عليك، ولا يجوز أن يُضرب على الخطأ مثل هذا الضرب بالسوط ويُجلد بهذا الجلد وبهذه الصفة. ((اعلمْ أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)) .

فأدرك وتدارك رضي الله عنه؛ «**قلت: هو حرٌّ لوجه الله**»؛ في نفس اللحظة، وهذا نراه كثيرًا في الأحاديث في مواقف الصحابة النبيلة في سرعة استجابتهم للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. في نفس اللحظة قال: «هو حرٌّ لوجه الله» ، وأيضًا جاء في بعض الروايات أنه قال: «لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا»؛ هذا المملوك حرّ، وغيره من المماليك لن أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

انظر سرعة الاستجابة وقوة الاستجابة في أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذين قال عنهم نبينا عليه الصلاة والسلام: ((خير الناس قرني)) ، فهذه طريقتهم عند سماعهم الحديث عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، خلاف كثير من الناس في مثل هذا الزمان، يُعرض عليه الحديث فيجعله قيد الدراسة والنظر، ويتأمل فيه أيامًا، هل يعمل أو لا يعمل، ويعرضه على عقله، ويعرضه على رغبته، ويعرضه على... هل يعمل به أو لا يعمل ، الصحابة من حين ما يسمع التوجيه من النبي عليه الصلاة والسلام يبادر المبادرة السريعة من لحظته ومن ساعته كما هو واضح في هذا المثال، وأمثلة كثيرًا جدا فيها سرعة استجابة الصحابة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

قال: **((اعلمْ أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)) قلت هو حرٌّ لوجه الله تعالى. فقال: ((أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار – أو لمسَّتك النار))** ؛ وهذا يبين أن مثل هذا الوعيد «لفحتك النار» أو «مسَّتك النار» لا تكون إلا في الأمور الكبيرة، أو فيما هو كبير من الذنوب. فاستغلال الإنسان قوَّته فيمن تحته من خدم يبطش بهم ويقسو عليهم ويضربهم الضرب الشديد ونحو ذلك جاء فيه مثل هذا الوعيد الذي صح عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه في هذا الحديث.

ومما يستفاد من هذا الحديث: أهمية الوعظ وحاجة الناس إليه ، وتخويفهم بالله سبحانه وتعالى، وتذكيرهم بقدرة الله وعظمته، وأن الله عزّ وجلّ أقدر على العباد، وأنه على كل شيء قدير؛ فمثل هذا التذكير يحيي القلوب وينفع الناس ويزيل عنها الغفلة، والناس بحاجة إلى الوعظ وبحاجة إلى التذكير ، يوعظون في أنفسهم، يخَّوفون بالله،

يخَّوفون بسخط الله بغضبه، الناس يحتاجون إلى ذلك، وإذا وُفِّقوا لمن يعظهم ويُحسن موعظتهم وتذكيرهم بالله سبحانه وتعالى يحصل بإذن الله الانتفاع لمن شاء الله عزّ وجلّ أن ينتفع .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.